لا تستعر جلداً على هجرانهم ... فقواك تضعف عن صدود دائم .

واعلم بأنك إن رجعت إليهم ... طوعاً وإلاّ عدت عودة راغم .

قال العماد الكاتب تناشدنا بيتاً للوزير المغربي في وصف خفقان القلب وهو : .

كأن قلبي إذا عنّ ادّكاركم ... ظلّ اللواء عليه الريح تخترق .

فقال لي الأمير أسامة قد شبهت القلب الخافق وبالغت في تشبيهه وأربيت عليه في قولي من أبيات وهي : .

أحبابنا كيف اللقاء ودونكم ... عرض المهامه والفيافي الفيح .

أبكيتم دمعي دماً لفراقكم ... فكأنّما إنسانها مجروح .

وكأنّ قلبي حين يخطر ذكركم ... لهب الضّرام تعاورته الريح .

فقلت له : صدقت فإن المغربيّ قصد تشبيهه خفقان القلب وأنت شبهت القلب الواجد باللهب وخفقانه باضطرابه عند اضطرامه لتعاور الريح فقد أربيت عليه . قال : وأنشدني له في غرضٍ له في نور الدين الشهيد : .

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا ... له فكلٌّ على الخيرات منكمش .

أيامه مثل شهر الصوم خالية ... من المعاصي وفيها الجوع والعطش .

وأنشدني له : .

وأعجب ما لقيت من الليالي ... وأيٌّ فعالها بي بم يسؤني .

تقلّب قلب من مثواه قلبي ... وجفوة من ضممت عليه جفني .

وأنشدني له : .

انظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها ... مغالياً ثم بعد الجمع يرميها .

كالمرء يكدح في الدنيا ويجمعها ... حتى إذا مات خلاّها وما فيها .

وله في الهزل : .

خلع الخليع عذارة في فسقه ... حتى تهتك في بغاً ولواط .

يأتي ويوتى ليس ينكر ذا ولا ... هذا كذلك إبرة الخياط .

وله القصيدة الميمية التي كتبها من مصر إلى دمشق في أيام نبي الصوفي وضمنها كثيراً من قصيدة المتنبي وهي : .

ولّوا فلمّا رجونا عدلهم ظلموا ... فليتهم حكموا فينا بما علموا .

ما مرّ يوماً بفكري ما يريبهم ... ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم .

وهي قصيدة مليحة في العتاب وله أيضاً : .

إلى ا أشكو فرقةً دميت لها ... جفوني وأذكت بالهموم ضميري .

تمادت إلى أن لاذت النفس بالمنى ... وطارت بها الأشواق كلّ َ مطير .

فلما قضى ا اللقاء تعرّ َضت ... مساءة دهري في طريق سروري .

وله أيضاً : .

قالوا نهته الأربعون عن الصبّا ... وأخو المشيب يجور ثمّت يهتدي .

كم حار في ليل الشباب فدلّه ... صبح المشيب على الطريق الأقصد .

وإذا عددت سنيّ َ ثم نقصتها ... زمن الهموم فتلك ساعة مولدي .

وله من التصانيف كتاب القضاء كتاب الشيب والشباب ألّفه لابنه كتاب ذيل اليتيمة للثعالبي . كتاب تاريخ أيامه . كتاب في أخبار أهله .

الليثي المدني .

أسامة بن زيد الليثي مولاهم المدني من كبار العلماء . قال ابن معين : ليس به بأس واختلف قول القطان فيه وقال النسائي : ليس بالقوي . روى عنه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وتوفي في حدود الستين والمائة .

علم الدين الكاتب .

أسامة بن محمد بن عبد الوارث علم الدين الأسدي - أسد قريش - الأبهري الأصل المصري يكنى أبا الأشبال . أخبرني الإمام العلامة أثير الدين من لفظه قال : كان المذكور كاتباً ناظماً ناثراً ممتعاً بالحديث حسن المفاكهة رأيته بدمياط والقاهرة أنشدني يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر رجب سنة تسعين وستمائة بثغر دمياط يصف حمّ َاماً : .

حمّامنا لمن دخل ... خالية من الخلل .

قد وضعت بحكمةٍ ... على مزاج معتدل .

يرى بها والجها ... وجه الزمان مقتبل .

فطرف من يدخلها ... يسرح منها في حلل .

جمالها إن فصّ ِلت ... أجزاؤه كان جمل .

لا خطر في وصف ما ... قد جمعت ولا خطل .

إن بلّ َ من مياهها ... جسم من البلوى أبلّ .

وهو رواء من غلل ... وهو شفاء من علل .

يحكم في إطلاقه ... كما يريد من دخل .

فماؤها الحار من ال ... حار الغريزي أجلّ